ومن محاولات تحنيطها الداخلية . ومن هنا ، حين نصرح بأننا عرب فاننا لا نعبر عن غرور بقدر ما نبحث عن دور .. بقدر ما نستأذن العالم في الاعلان عن أن غيننا ما يسهم في رفع مستوى انسانية الانسان . وفي الاعلان عن أن لدينا تجربة ذات خصوصية قومية نريد أن نضيفها للتجارب الانسانية ليزداد التنوع وتقل الفضيحة والسيطرة .

أننا لا نبشر الا بحقنا في أن نشارك بالحرية . كلما اتسعت الحرية كلما اتسع العدل، وانطلقت التجارب للمشاركة في تغيير المصير الراهن للانسان . وان جرائم الامبريالية لا تعد فقط بالنهب الاقتصادي وتشويه جسد الحرية . انها تحصى ايضا بالحيلولة دون مساهمة الطاقات الروحية لمائة مليون انسان، كانوا ورثة حضارة من اغنى الحضارات ونقلة حضارات غنية، ودون تقديم خدماتهم الابداعية في اثراء الروح الانسانية .

دعونا نتكلم ! ماذا يحدث لو مارسنا حق الكلام ؟ سنوسع مساحة وطن الانسان . أليس هذا ما يفعله الادب في اخر الامر . هكذا نقيم العلاقة الانسانية .

اننا نشق طريقنا الى هذا الدور بجهد وعذاب ، عبر الحروب المفروضة علينا ، وعبر المجاعات ، وعبر الامية ، وعبر افتتاحيات الصحف الغربية التي تعاملنا نفطا لا بشرا ، وغيرها من الاسلحة الرامية للحيلولة دون بلوغ الشعوب حالة الانسانية الحقيقية . وان أدبنا الحديث هو نتاج هذا المخاض الطويل . ومفرداته تحمل هذه الاصوات . ان نحضر .. ان نحضر . هذا هو السؤال . وحين يعلن هويته القومية يسجل انتماءه الانساني بلغة تفجر اغترابها وتتجدد . اننا نأتي الى العالم من سجن العالم الرسمي . دعوتنا لنا ولكم هي التغيير . كان شاعرنا القديم يشكو سوء الطالع . ونحن انتقلنا من البكائيات القديمة التي أعجبت مؤرخي الادب الغربيين ، الى التفجير والتغيير .

نبحث عن حلم ؟ كلا !

نبحث عن بطل ؟ كلا !

اننا نبحث عن فاعلية . نبحث عن تجسيد . لم تكتمل ملامح وجه الادب العربي الحديث بعد ، لانه ما زال يتكون وسط المعركة . وما زال يخوض معارك تحدي الاخر واختبار الذات ، بما يرافقه من بلورة لسان جديد ، وموقف جديد ، ووجود جديد . لانه — باختصار — ما زال في مرحلة الانتقال من التبعية للماضي الذي انقطع ومن قيم ومفاهيم السيطرة الخارجية والداخلية الى التحرر الوطني والقومي . لقد تطورت اشكال النموذج : من الجاهز في التعاليم العامة ، الى الحالم ، الى الواقعي الميكانيكي ، الى الواقعي الناقد ، الى المقاوم والثوري ، الى ذوبان النموذج الفردي ومحاولة الاستغناء عنه وفقا لدرجة حركة الفاعلية . لم يعد الحلم فرديا ، لان نمو الصراع والمستويات وامتداد معارك التحدي وبلورة فكرة الانبعاث العربي جعلت الحلم جماعيا .. حلم امة . وصار السعي لتطبيق الحلم الذي لا يسمى ، والذي حاولت السياسة ان تسميه بشعارات : « حرية ، وحدة ، واشتراكية » ، استقطابا لروح تشردت قرونا . وكان البحث عن حدودها لايجاد مرتكزات هو مصدر التنوع الشاق في الاجتهادات العربية لتحديد وجهة السير نحو امتلاك المصير ، وهو أيضا مصدر التنوع المتناقض — أحيانا — في اجتهادات الادباء لتحديد المحتوى الجديد للثقافة العربية القومية ، او تحديد المضمون الثوري الجديد للدعوة العربية ، ومكانتها في حركة شعوب آسيا وافريقيا ، وحركات التحرر في هذا العصر .

لا يسأل العربي نفسه : أكون ، أم لا أكون . لانه عميق الاحساس بالطمأنينة التي خلقها المكان الواسع ، والتاريخ القديم ، والكنوز المادية والروحية الكبيرة . انه يسأل نفسه : كيف أكون ؟ ولعل هذا السؤال هو واحد ، الفاعليات التي يتمحور حولها